ملخص الدراسة النقدية لكتاب الفهرست لابن النديم.

1- التعريف بالمؤلف[1]:محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم، البغدادي، وصفه الذهبي بصاحب التصانيف، كان من الوراقين، يعد كتابه الفهرست من أقدم كتب الفهرسة وأفضلها، من أبرز علماء القرن الرابع ، اختلف في تاريخ وفاته،فذكرت كتب التراجم تواريخ متعددة ولم يذكر أهل التحقيق من المترجمين سنة وفاته حتى قال الذهبي في تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:" لا أعلم سنة وفاته"، وعموما فقد قال بن أيبك الصفدي توفي سنة380هـ و نص البغدادي في هدية العارفين أنه توفي سنة 385هـ ،

2- عصر المؤلف: المؤلف مخضرم بين عصرين، فقد ولد في القرن الرابع وعاش فيه زمنا وأدرك القرن الخامس، ومعروف عند الدارسين والمؤرخين أن القرن الرابع يتميز بكونه يمثل فترة الإزدهار[2] والتطور المعرفي في الحضارة العربية والإسلامية، كما يمثل فترة النضج والاكتمال لسائر العلوم والمعارف، فقد عُدَّ القرن الرابع المدة الزمنية للالتقاء الحضارات فترجمت فيه العديد من المصنفات، ونقلت للغة العربية عن طريق الترجمة من اليونانية والفارسية،كما تميز هذا العصر أيضا بكثرة التآليف والتصانيف وكثر فيه الأعلام من العلماء والأدباء والنحاة و اللغويين، و تعدّ مؤلفات هذا القرن مؤلفات امتزجت فيها الثقافة العربية بغيرها من الثقافات الأخرى كالفارسية واليونانية وتميزت بالصبغة العقلية المكتسبة من علم الكلام والمنطق واللذان كانا لهم الدور الكبير في براعة التصنيف وحسن التأليف لعلماء هذا القرن ومنهم ابن النديم.

3- عنوان الكتاب: يذكر الكتاب في كتب التراجم والفهرسة أنه يسمى في أغلبها كتاب **"الفهرست**،" ويسمى أيضا، فهرست العلماء وهو ما أطلقه ابن حجر في لسان الميزان، و يسمى فهرس العلوم كما ورد في تاريخ التراث، و كلمة "الفهرست"، فارسية الأصل ثم عربت بفهرس،

---

[1] - ترجمة ابن النديم موجودة في : معجم الأدباء، ياقوت الحموي، 2427/6.
الوافي بالوفيات الصفدي،139/2،وتاريخ الإسلام للذهبي ، 8/ 833 ولسان الميزان ، ابن حجر، 5/ 72، كشف الظنون ، حاجي خليفة،2/ 1303، الأعلام، الزركلي، 6/ 29، هدية العارفين،البغدادي،2/ 55،معجم المؤلفين، رضا كحالة،41/9، معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم، 4/ 2604

[2] - لمعرفة خصائص القرن الرابع ينظر: أبو تاكي، خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع، ص 7.

وتعني بالفارسية "قائمة كتب" أو "قائمة مواضيع" ثم أصبحت الكلمة متداولة لا يكاد يخلو منها كتاب أو بحث فيقال: فهرس المواضيع وفهرس المحتويات ....ألخ .

نجد في المكتبة العربية هذا العنوان هو الأول ثم نجد عنوان آخر اشترك معه وهو لأحد علماء الأندلس في القرن السادس المسمى ابن خير الإشبيلي حيث اقتفى أثر ابن النديم، وسمى كتابه :"فهرست ابن خير" مع أن المراجع تذكر أن ابن خير الإشبيلي لم يطلع على كتاب ابن النديم ، فتشابه العنوان لم يكن من قبيل التقليد وإنما كان من قبيل تفاعل الثقافات، واتحاد الأفكار بين المؤلفين والعلماء.

4- تحقيق الكتاب وطبعاته :

لكتاب الفهرست طبعات عديدة[1] ومتنوعة وبتحقيقات مختلفة، طبع الكتاب لأول مرة في ليبسك سنة 1872م بعناية الألماني: "**فلوجل**"، ثم في القاهرة 1930م ثم طبع طبعات أخرى، أهمها: طبعة الأستاذ رضا تجدد، طهران 1971م وفيها زيادات على الطبعات السابقة، كالصفحات الأولى من المقالة الخامسة، وتشتمل على تراجم أعلام المعتزلة. وطبعة د. ناهد عثمان (الدوحة 1985) وتمتاز بالتعقيب على أسماء الكتب بما يبين مصيرها، مخطوطاً كان أو مطبوعاً. وطبعة الدكتور مصطفى الشويمي (الجزائر 1985م) . وطبعة الدكتور. شعبان خليفة ووليد العوزة، (القاهرة 1991) وغيرها من الطبعات. أماّ نسخ هذا الكتاب الأصلية والمخطوطة فهي متفرقة بين مكتبات العالم[2]

5- محتويات الكتاب: قسم المؤلف كتابه إلى مقالات وهي عبارة عن أبواب تندرج تحتها ، وكل مقالة تحوي فنون وقد بلغت الفنون عنده 32 فنا قسمها كما يلي:[3]

المقالة الأولى: وتتألف من ثلاثة فنون: الفنّ الأول في وصف لغات الأمم من العرب والعجم، ونعوت أقلامها وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها. والفنّ الثاني في أسماء كتب الشرائع المنزّلة على مذاهب المسلمين ومذاهب أهلها. والفنّ الثالث في نعت الكتاب - يعني القرآن الكريم -

[1] - للوقوف على طبعات الفهرست ونشرها ينظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة، إليان سركيس،1/ 268، وتاريخ التراث ، فؤاد سزكين، 1/ 27

[2] - ينظر معجم تاريخ التراث العربي ، حيث وصف المؤلف النسخ الخطية للكتاب وبين أماكن وجوده في العالم 4/ 2604.

[3] - ينظر كتاب الفهرست لابن النديم ص 9

الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأسماء الكتب المصنّفة في علومه، وأخبار القرّاء وأسماء رواتهم والشواذ من قراءاتهم.

والمقالة الثانية: وتتألف من ثلاثة فنون: الفنّ الأول في ابتداء النحو وأخبار النحويين البصريين وفصحاء الأعراب وأسماء كتبهم. والفنّ الثاني في أخبار النحويين واللغويين من الكوفيين وأسماء كتبهم. والفن الثالث في ذكر قوم من النحويين خلطوا المذهبين وأسماء كتبهم.

والمقالة الثالثة: وتتألف من ثلاثة فنون: الفنّ الأول في أخبار الأخباريين والرُّواة والنسَّابين وأصحاب السّير والأحداث وأسماء كتبهم. والفنّ الثاني في أخبار الملوك والكُتَّاب والمترسّلين وعمال الخرَاج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم. والفنّ الثالث في أخبار النُّدماء والجلساء والأدباء والمغنين والمضحكين وأسماء كتبهم.

والمقالة الرابعة: وهي في فنّين: الفنّ الأول في طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ممن لحق الجاهلية وصُنَّاع دواوينهم وأسماء رواتهم. والفنّ الثاني في طبقات شعراء الإسلاميين وشعراء المحدثين إلى عصرنا هذا، يعني العصر الذي عاش فيه مؤلّف الكتاب.

والمقالة الخامسة: وهي في خمسة فنون: الفنّ الأول في ابتداء أمر الكلام والمتكلّمين من المعتزلة والمرجئة وأسماء كتبهم. والفنّ الثاني في أخبار متكلّمي الشيعة الإمامية والزّيدية وغيرهم من الغُلاة والإسماعيلية وأسماء كتبهم. والفنّ الثالث في أخبار متكلّمي المجبّرة والحشوية وأسماء كتبهم. والفن الرابع في أخبار متكلمي الخوارج وأصنافهم وأسماء كتبهم. والفنَّ الخامس في أخبار السُّيَّاح والزهّاد والعبّاد والمتصوفة المتكلّمين على الوساوس والخطرات وأسماء كتبهم.

والمقالة السادسة: وهي في ثمانية فنون: الفنّ الأول في أخبار مالك وأصحابه وأسماء كتبهم. والفنّ الثاني في أخبار أبي حنيفة النّعمان وأصحابه وأسماء كتبهم. والفنّ الثالث في أخبار الشافعي وأصحابه وأسماء كتبهم. والفنّ الرابع في أخبار داود (الظّاهري) وأصحابه وأسماء كتبهم. والفنّ الخامس في أخبار فقهاء الشيعة وأسماء كتبهم. والفنّ السادس في أخبار فقهاء أصحاب الحديث والمحدّثين وأسماء كتبهم. والفنّ السابع في أخبار أبي جعفر الطّبري وأصحابه وأسماء كتبهم. والفنّ الثامن في أخبار فقهاء الشُّرَاة وأسماء كتبهم.

والمقالة السابعة: في ثلاثة فنون: الفنّ الأول في أخبار الفلاسفة الطَّبيعيين وأسماء كتبهم وشروحها والموجود منها. والفنّ الثاني في أخبار أصحاب التعاليم، المهندسين والأرثماطيقيين والموسيقيين والحُسَّاب المنجِّمين وصناع الآلات وأصحاب الحيل والحركات. والفنّ الثالث في ابتداء الطبِّ وأخبار المتطبّبين من القدماء والمُحْدثين وأسماء كتبهم وتفاسيرها.

والمقالة الثامنة: وهي ثلاثة فنون: الفنّ الأول في أخبار المسامرين والمخرّفين والمصوّرين وأسماء الكتب المصنّفة في الأسمار والخرافات. والفنّ الثاني في أخبار المعزمين والمشعبذين والسّحرة وأسماء كتبهم. والفنّ الثالث في أسماء الكتب المصنّفة في معانٍ شتى لا يعرف مصنّفوها ولا مؤلّفوها.

والمقالة التاسعة: وهي في فنّين: الفنّ الأول في وصف مذاهب الثّنوية من المنّانية والدَّيصانية والخرَّمية والمرقيونية والمزدكيّة وغيرهم، وأسماء كتبهم. والفنّ الثاني في وصف المذاهب الغريبة الطّريفة، كمذاهب الهند والصين وغيرهما من أجناس الأمم.

والمقالة العاشرة: وتحتوي على أخبار الكيماويين والصَّنعويّين من الفلاسفة القدماء والمُحْدَثين وأسماء كتبهم.

6- منهج المؤلف في عرض المادة: اتبع المؤلف منهجا متميزا في عرض مادته جمع فيه بين الدقة والاختصار والاستفادة من مهنته وهي الوراقة، وعموما يمكن حصر منهجه في النقاط الآتية:

- إيثار الإيجاز في العبارة وعدم الطول والإطناب. نظرا لاتساع موضوع الكتاب الذي يستوجب الإيجاز؛ فلو لاه لما استطاع حصر هذه المؤلفات واستوعب الحديث عن جميع هذه الفنون.

- التقيّد بهدف الكتاب تقيّداً تاماً، وهو تعداد الكتب وأخبار مصنّفيها. وعدم الخروج عن الموضوع الأصلي إلا نادرا مما لا يعد خروجا، وإنّما مما يقتضيه موضوع الكتاب.

- التوثيق التام بذكر المصادر والموارد التي ينتقي منها المؤلف المادة العلمية لكتابه، ويعتمد كثرا على الرواية وسرد الأخبار يبدأها عادة بأخبرنا كقوله : " أخبرنا الثقة من أصحابنا قال كان تأليف السور في قراءة أبي بن كعب بالبصرة في قرية يقال لها قرية الأنصار على رأس فرسخين عند محمد بن عبد الملك الأنصاري أخرج إلينا مصحفا وقال هو مصحف أبي رويناه

عن آبائنا...."[1] وقد يكون التوثيق عن طريق ذكر الكتاب ذاته مما يدل على أنه نظر إليه واطلع عليه خاصة إذا علمنا أن الرجل من الوراقين وممن اشتغلوا بالوراقة وتدوين الكتب ومثالها قوله: " كذا قرأت في أخبار علماء الكوفة بخط أبي الطيب أخي الشافعي"[2] .

- ترجمة الأعلام الواردة في الكتاب ، فغالبا ما يذكر اسم الكتاب ويردفه باسم مؤلفه معرفا به باختصار متقيدا بسنة ميلاده وسنة وفاته وطرفا من سيرته باختصار.

- لم يتقيد المؤلف بالحديث عن فنّ معين والترجمة لأصحابه، بل كان منهجه عاما يجمع جميع المصنفين في علوم شتى، فورد فيه الحديث عن التاريخ والأدب والفقه والحديث والعقائد والمذاهب والفلسفة والطب والفلك والموسيقى....

- غلبت عليه سمة العالم المحقق ، الذي يحقق في المعلومة ويمحّصها قبل ذكرها وتدوينها لا سمة الجامع الناقل؛ الذي يغلب عليه النقل والإخبار فيكثر في نقله الصحيح والموضوع الضعيف من الأخبار، وعليه فرغم كونه أول من ألف في هذا الفن ومع ذلك كان من المحقّقين في علم الفهرسة والتراجم.

7- <u>نقد تقويمي للكتاب</u>

أ- **مزايا الكتاب ومحاسنه** : لكتاب الفهرست مزايا عديدة ويمكن ذكر أهمها كما يلي:

1- يعد أول وأقدم كتاب من الكتب التُّراثية التي أَرّخت لأسماء الكتب وأسماء مؤلّفيها في مختلف العلوم والفنون التي كانت معروفة بين أهل العلم وطلابه في قرون التأليف الأولى عند المسلمين من القرن الأول للقرن الرابع. وللسابق فضل على اللاحق.

2- يعد الفهرست مصدرا من المصادر الأساسية في تعريفنا بالكثير من المصادر العربية في التراث، وتزداد أهميته في كونه يعرفنا بالمصادر التي لم تصل إلينا، وإنما ضاعت واندثرت بسبب انتكاسات الدولة الإسلامية والحروب المتتالية، وسرقة التراث من طرف أعداء المسلمين. فلولا الفهرست ما عرفنا هذه المصادر.

3- نقل ابن النديم في كتابه العديد من عناوين لمؤلفات العجم التي نقلها العرب بواسطة الترجمة للمكتبة العربية والإسلامية يدل على ذلك قوله: " هذا فهرست كتب جميع

[1] - ابن النديم ، الفهرست، ص 44

[2]- ابن النديم ، الفهرست، ص 98

الأمم من العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب وقلمها، في أصناف العلوم، وأخبار مصنّفيها، وطبقات مؤلفيها وأنسابهم، وتاريخ مواليدهم، ومبلغ أعمارهم، وأوقات وفياتهم، وأماكن بلدانهم، ومناقبهم، ومثالبهم، منذ ابتداء كل علم اخترع وإلى عصرنا هذا، وهو سنة 377 للهجرة "[1]

4- استفاد من الفهرست جمٌّ غفير من مصادر التراجم والسير، فنقلو عنه ضبط العديد من الأسماء والمؤلفات التي تعترضهم أثنا التعريف بالشخصيات فكان مصدرا لياقوت الحموي في معجم الأدباء وابن حجر في تراجمه كالدرر ولسان الميزان والذهبي في السير وتاريخ الإسلام وغيرها. من مصادر التراجم حيث نقف على ذكر الفهرست وابن النديم في كتب التراجم.

5- دفاعه عن العلماء والمؤلفين والمصنفين ممن يقدح في كتبهم أو يتكلم فيهم بغير علم ومن ذلك دفاعه عن جابر بن حيان فيقول:"... قال جماعة من أهل العلم وأكابر الوراقين إن هذا الرجل يعني جابرا لا أصل له ولا حقيقة وبعضهم قال انه ما صنف وإن كان له حقيقة الا كتاب الرحمة وإن هذه المصنفات صنفها الناس ونحلوه إياها وأنا أقول إن رجلا فاضلا يجلس ويتعب فيصنف كتابا يحتوي على ألفي ورقة يتعب قريحته وفكره بإخراجه ويتعب يده وجسمه بنسخه ثم ينحله لغيره إما موجودا أو معدوما ضرب من الجهل وإن ذلك لا يستمر على أحد ولا يدخل تحته من تحلى ساعة واحدة بالعلم وأي فائدة في هذا وأي عائدة والرجل له حقيقة وأمره أظهر وأشهر وتصنيفاته أعظم وأكثر ولهذا الرجل كتب في مذاهب الشيعة أنا أوردها في مواضعها وكتب في معان شتى من العلوم قد ذكرتها في مواضعها من الكتاب وقد قيل إن أصله من خراسان والرازي يقول في كتبه المؤلفة في الصنعة قال أستاذنا أبو موسى جابر بن حيان".[2]

6- رسم ابن النّديم بكتابه صورة دقيقة للمكتبة العربية والنشاط الثقافي في مختلف جوانب المعرفة التي عرفها عصره، فقد بين لنا حقيقة الجوانب الثقافية والعلمية

[1] - الفهرست ، ابن النديم ، ص 7

[2] - الفهرست، ابن النديم، ص 435.

للقرون الأولى فهو بذلك يعد إلى جانب كتاب الفهرسة كتاب تاريخي للعلوم والمعارف ينبئ بصورة دقيقة عن النشاط الفكري لعصر المؤلف والعصور التي تقدمته.

7- - تحديد أحجام بعض الكتب ووصفها وصفا دقيقًا، ذاكرًا عدد الأوراق، وقد حدد ما يعنيه بالورقة في كتابه وأنها ما كان من النوع السليماني.

8- التزم الموضوعية في غالب الأحيان ولم يمل إلى مذهبه رغم أنه كان معتزلي وقد وصفه البعض أنه متشيع .

ب- **<u>المآخذ عن الكتاب:</u>**

جعل الله لكمال لكتابه الخالد والعصمة له من أي خلل ونقص ، فالجهد البشري مهما تمّ إلا كان النقصان أحد مميزاته ولذا فقد لوحظ عن الكتاب بعض المآخذ التي يقع فيها أي مؤلف يؤسس لأي علم أو فنّ ومن هذه المآخذ ما يلي :

- مما يؤخذ عليه أنه أحيانًا يكتفي بذكر الموضوع وأسماء المؤلفين فيه، دون أن يذكر أسماء الكتب، وأحيانًا يذكر علماء وليس لهم مؤلفات، وقد ينص بنفسه على ذلك.

- يؤخذ عليه أيضا أحيانا يقلل من شأن بعض الكتب، لبعض المؤلفين كتقليله من شأن كتاب ألف ليلة وليلة مع كونه يستفاد منه في موضوعه وبابه

- يؤخذ عليه تعرضه لأشياء لا صلة لها بموضوع الكتاب، كالحديث عن فضل القلم والكتابة ومدح الكلام العربي.

وعموما فالكتاب متميز في بابه ونقائصه تضمحل في بحر محاسنه .